الفصل الثامن

نساء سعيدات

نساء سعيدات

هناك الآلاف من النساء قد فرضت الظروف عليهن العنوسة أو الطلاق بعد رحلة زواج لم تستكمل ، وقد يكون سبب عدم استكمال هذه الحياة الزوجية خارجًا عن الطرفين ، ولكن ما قدر لهم من هذه الحياة فقد جاء وقت انتهائه .

ولكن هؤلاء النسوة قد قررن العيش على هذا الحال وعدم التفكير في الزواج مرة ثانية مما كانت الظروف الاجتماعية أو عدم التفاهم بين الزوجين أو يكونا قد وقعا أو أحدهما تحت ظروف إجبارية لقبول هذا الزواج ، مما كان السبب في رفع نسبة العنوسة في العديد من بلادنا .

فقد ذكرت الإحصائيات أن نسبة العنوسة وصلت إلى ٤٠٪ من البنات ، وهذه نسبة كبيرة مما يجعل بعضهن يقعن فريسة في شباك الشياطين والذئاب ممن يشغلون فراغهم بدعوى الزواج ويظهرون الجدية في هذا الأمر ، ثم تبدأ الأمور تضح على حقائقها التي أخفيت تحت تيار المجاملات في البداية ، فيصدم كل منهما أو أحدهما بحقيقة الطرف الآخر المرة .

فتفرض الظروف نفسها على أحد الزوجات بالعنوسة ، ومنهن من تحاول أن تجرب مرة بعد مرة ، وقد تنجح وقد تفشل ، ولكن بعضهن يفضلن البقاء على هذا الوضع وهو العنوسة بكل مشاكلها .

أما العقيلات اللاتي قبلن هذا الوضع تحاول أن تستفيد وتفيد المجتمع ، وذلك برعاية الأب أو الأم أو الأخوة .

أو الانشغال ببعض الأعمال الخيرية والاجتماعية في هذا المجتمع . بما يعود بالسعادة على الكثيرين من أفراد هذا المجتمع .

مما يجعل بعض هؤلاء السيدات سعيدات بما تقوم به من هذه الأعمال من بر الآباء والأمهات وصلة الأرحام . ويظل عطاؤهن بكل تضحية وبكل يقين وثقة بالله عز وجل أن هذا هو مقدر لها من الحياة ، فترضى به.

وتكمل رسالتها التي كلفت نفسها بها أو فرضتها عليها هذه الحياة وعاشت بهذه الظروف تسعد غيرها وتسعد نفسها بهذا العمل النافع الجاد.

وقد تجور عليها الأيام وتجد غير ما لم تكن تتوقعه ممن قدمت لهم العون بالأمس ، إلاَّ أنها تشعر أنها أكملت رسالتها على الوجه الأكمل ، إرضاء لله ورسوله وبما يجب أن تقدمه لمن حولها من الأهل خاصة ، أو المجتمع عامة .

وتقول عانس إلى أخواتها من العانسات : كم من عانس عاشت سعيدة .

وكم من ملتزمة أبعدها الزواج عن هذا الالتزام والتفريط في طاعة الله عز وجل .

ولكن بعض البنات تقول :[ظل رجل ولا ظل حيطة][1].

وليست هذه دعوة لقبول الزواج لشكل الزواج أو الذي يفرض على بعض الفتيات . فكم أسعدت العنوسة من النساء عشرات . وليست هذه دعوة للعنوسة ولكن هي دعوة للسعادة أيا كان حال السيدات والبنات .

١- نساء غير متزوجات ٤٠.

وتقول هذه الفتاة العانس : عليك يا أختي أولاً أن تدركي أن عدم الزواج إنما هو من قدر الله وقضائه عليك لذا يجب أن نحمد الله على السراء وأن نصبر على الضراء حتى يكون الأجر والثواب من الله عز وجل .

فكم من فتاة تمنت الزواج وكان الزواج سببًا في شقائها .

وكم من سيدة تمنت الولد وكان الولد سببًا في شقائها .

فربما التي قدر لها أن تعيش عانسًا سيجعل الله لها : إن صبرت خير الأزواج في الجنة: وما أعظم الثواب والأجر عند الله عز وجل.

من أوصاف النساء

يجب على المرأة المسلمة أن تقتدي بنساء النبي والصحابة ، وأن تأخذ كل صفة طيبة من أمها أو أختها أو أي سيدة ترى فيها خيراً ، وإذا وجدت فيهن غير ذلك تركتها ، وإن كان يجب عليها إصلاح هذا الأمر ؛ لأن هذا هو حق المسلم على المسلم.

أحسن النساء

سئل أعرابي من أحسن النساء ؟

فقال أفضل النساء

أطولهن إذا قامت

وأعظمهن إذا قعدت

سئل أعرابي من أحسن النساء ؟

وأصدقهن إذا قالت

التي إذا غضبت . . . . . حلمت

وإذا ضحكت ابتسمت

وإذا صنعت شيئاً جودته

التي تلزم بيتها

ولا تعص زوجها

العزيزة في قومها

الذليلة في نفسها

الودود . . . الولود

وكل أمر فيها محمود

المرأة السوء

قيل لأعرابي : صف لنا شر النساء ؟

قال . . شرهن النحيفة الجسم

القليلة اللحم

المحياض . . الممراض

لسانها كأنه جربة

تبكي من غير سبب

وتضحك من غير عجب

عرقوبها حديد

منتفخة الوريد

كلامها وعيد

صوتها شديد

تدفن الحسنات

وتفشي السيئات

تعين الزمان على زوجها

ولا تعين زوجها على الزمان

إذا دخل خرجت

وإذا خرجت دخل

وإذا ضحك بكت

وإذا بكى ضحكت

تبكي وهي ظالمة

وتشهد وهي غائبة

قد اعتاد لسانها بالزور

وسال دمعها بالفجور

ابتلاها الله بالويل والثبور

وعظائم الأمور

هذه هي شر النساء

ستة أنواع من النساء

يقول العرب لمن يرغب في الزواج : عليه الابتعاد عن ستة أصناف من النساء .

١- الأنانة :التي تكثر الشكوى والأنين في كل وقت بسبب وبغير سبب.

٢- الحنانة : هي التي تحن لزوج آخر، ولا ترضى بوضعها الحالي ، وكثيراً ما تقارن بينه وبين الآخرين من الرجال .

٣- المنانة : وهي التي تمن على زوجها وتقول: فعلت من أجلك كذا وكذا .

٤- الحداقة :وهي التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها وتتمنى شرائه.

٥- البراقة : وهي التي تظل طوال النهار تصقل وجهها وتبالغ في الزينة والجمال.

٦- الشداقة : وهي كثيرة الكلام بفائدة وبغير فائدة .

ألوان النساء

قيل : إن ألوان النساء خمسة هن :

١- العصبية : وهي التي تسعدها ابتسامة وتشقيها كلمة .

٢- الخيالية : وهي التي تسبح بخيالها فيسعدها الخيال أو يشقيها مواجهة الحقائق.

٣- الساذجة : وهي التي تسيطر على عقلها الأوهام وتتلاعب بها الأهواء . وتنخدع في بعض أقوال الرجال .

٤- العنيدة : وهي التي تركب رأسها وتعجبها أفكارها فتحكم كل حياتها .

٥- الذكية : وهي التي تفتح قلبها لكل شيء مع الحذر من غدر الأيام وتقلب الرجال وتتحكم في عواطفها .

لا تنكح أربعة من النساء:

قال حكيم : لا تنكح أربعًا من النساء .

المختلفة . المباهية . العاهرة . الناشز

١- أما المختلفة، فهي التي تطلب الخلع كل ساعة ، وكما خلعت زوجها السابق تخلع بعد ذلك من تتزوجه .

٢- المباهية ، وهي التي تتباهى على غيرها في كل وقت .

٣- العاهرة ، وهي الفاسقة التي تصاحب وتخدن من الرجال غير زوجها .

٤- الناشز : وهي التي تعلو على زوجها في القول أو الفعل .

مواصفات العروس

وجد خالد بن صفوان جماعة في مسجد البصرة ، فقال : ما هذه الجماعة .

قالوا له : امرأة تدل على النساء خاجلة .

فأتاها صفوان وقال لها : أريد أن أتزوج ، فقالت له : وما هي صفات العروس التي تريدها ؟ فقال لها :

أريدها بكراً كثيب

أو ثيباً كبكر

مليحة من قريب فخمة من بعيد

حصاناً عند جارها

ماجنة عند زوجها

كانت في نعمة فأصابتها فاقة

فيها أدب في نعمة . وذل في حاجة

لا هي ضرعة صغيرة . ولا عجوز كبيرة

لها عقل وافر . وخلق طاهر

وجمال ظاهر

صلته الجبين

سهلة العرنين

سوداء المقلتين

خدلجة الساقين

لفاء الفخذين

نبيلة المعتقد

كريمة المحتد

رخمية المنطق

لم يدخلها صلف

ولم يشن وجهها كلف

ريحها أريج ووجهها بهيج

لينة الأطراف . ثقيلة الأرداف

لونها كالرق

وثديها كالحق

أعلاها سيب

وخصرها مرهف

أشر النساء

أشر النساء هي التي تفسد حياة زوجها بكثرة الكلام والشجار والعناد ولا ترضى بما قدر الله لها من هذه الحياة تنظر إلى ما في يد غيرها ولا تشكر ربها .

وصية العمر كله

قال القاضي شريح تزوجت امرأة صغيرة فلما بنيت بها .

قالت : عرفني خلقك لأعمل لك على راحتك . فقلت لها .

أحب كذا وكذا

وأكره كذا وكذا

وإذا رأيتني من الحسنة فأنشريها

وإذا رأيت السيئة فأكتميها

فقالت له : كيف محبتك لزيارة الأهل ؟

قال : ما أحب أن يمل مني أصهاري

قالت : فما تحب من جيرانك ؟

قال . بنو فلان؛ قوم صالحون

وبني فلان قوم سوء

دهاء إمرأة

يحكى أن ثلاثة اتهموا في اغتيال المستنصر العباسي . وحكم عليهم بالإعدام وكانوا من ذوي احدى النساء زوجها وأبيها و أخيها . ولما علمت هذه المرأة ذهبت على باب المستنصر حتى إذا هم بالخروج ورأته ألقت بنفسها عند قدميه وهي تبكي بكاءً مريراً وتتوسل إليه أن يعفو عنهم أو يأمر بقتلها معهم ؛ لأنه لا رغبة لها في الحياة بعدهم . فرفع المستنصر رأسه وقال : قبلت شفاعتك .

وتركت لك واحدًا منهم فاختاري .

ولكنها وقفت في حيرة وأخذت تفكر وتقول : الزوج موجود ، والابن مولود والأب مفقود فلا يعود . واختارت الأب ، فقال المستنصر : أذهبي أيتها المرأة لقد تركت لك الثلاثة لدهائك .

فقه المرأة

نظر رجل إلى زوجته وهي تصعد السلم فقال لها : أنت طالق أن صعدت . وأنت طالق إذا نازلت . وطالق إن وقفت ؛ فما كان من هذه المرأة إلاَّ أن قفزت من فوق السلم على الأرض في الحال ، فقال لها زوجها : فداك أبي وأمي ، إذا مات مالك احتاج الناس إليك.

أفقه النساء

لما كان أحمد بن طولون ظالماً، قبل أن يعدل فقد استجار الناس وصرخوا من ظلمه وبطشه وذهبوا إلى السيدة نفيسة يشكون لها حالهم ، فقالت لهم: من يركب ؟ قالوا : في الغد في وقت كذا .

فكتبت بعض الكلمات في رقعة ووقفت بها على الطريق ، وقالت : يا أحمد بن طولون . فلما رآها عرفها فترجل من على فرسه .

وأخذ هذه الرقعة التي وجد مكتوب فيها : [ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت إليكم الأرزاق فقطعتم . هذا وعلمتم أن سهام الأقدار نافذة غير مخطئة لا سيما في قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها ، وأجساد عريتموها ، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ، أعلموا ما شئتم فإنا صابرون .

وجـوروا ؛ فإنـا بـالله مستـجيرون واظلمـوا ، فإنـا إلى الله متظلمـون وسـيعلم الـذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وهنا عدل أحمد بن طولون]

مثلي ومثلك

حج أبو الأسود الدؤلي وكانت معه زوجته وكانت شابة جميلة فتعرض لهما عمر بن أبي ربيعة فغازلها فأخبرت أبو الأسود فأتاها فقال :

وإنـــي لينهـــاني عـــن الجهـــل والخنـــا
وعـــن شـــتم الأقـــوام خلائـــق أربـــع
حيـــاء وإســـلام وتقـــوى وأننـــي
كريمـــة ومثلـــي مـــن يضـــر وينفـــع
فشـــتان مـــا بينـــي وبينـــك إننـــي
علـــى كـــل حـــال أســـتقيم وتضـــلع

لماذا تركوك لي

تـزوج أعمى بفتـاة شـابة وكـان لا حـديث لهـا كل الوقـت إلاَّ عـن أنهـا جميلـة شابة وأنها كذا وكذا وقالت لزوجها : لو رأيت جمالي لتعجبت من شدته المبصرون. فقال لها زوجها الأعمى ، لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء .

نضارة وجمال

سئلت امرأة عجوز عن سبب جمالها ونضارة بشرتها رغم هذا السن المتقدم . وعن أي مستحضرات التجميل التي تستخدمها . فقالت :

أستخدم لشفتي الصدق

ولصوتي القرآن

ولعضلاتي الصلاة

ولعيني الرحمة والتفكر والشفقة

وليدي الإحسان والإنفاق

ولقوامي الاستقامة

ولقلبي حب ربي

أفلا أرضى

قال الأصمعي : رأيت امرأة من الناس شديدة الجمال ، ولها زوج قبيح المنظر فقلت لها ، يا هذه كيف ترضين بهذا لك زوجًا فقالت لي : يا هذا، لعل زوجي أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني الله ثواباً له على إحسانه ، ولعلي أسأت فعاقبني الله به أفلا أرضى.

دعوة مثابة

كان هارون الرشيد رغم كثرة أعباء الخلافة وانشغاله بالملك يحب من يجلس معه ليحدثه ويسامره ، وقد دخلت عليه امرأة ذات يوم وهو يجلس بين أصدقائه وبعض رجال رعيته من الأدباء والعلماء وأهل البيان .

فقالت هذه المرأة : أتم الله عليك أمرك يا أمير المؤمنين . وزادك الله رفعة .

وفرحك فيما أعطاك، لقد قسطت فيما فعلت ثم همت هذه المرأة بالخروج .

ولما همت بالخروج استوقفها هارون الرشيد . وسأل جلسائه هل فهمتم ما تقصد هذه المرأة، قالوا : ما فهمنا من كلامها إلاَّ إنه دعاء خير لك .

فقال :بل هو دعاء علي بالشر .

قالوا كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

فقال انها تقول :أتم الله أمرك . تقصد قول الشاعر :

إذا تـــم الأمـــر بـــدا نقصـــانه

توقـــــــع زوالاً إذا قيـــــــل تـــــــم

وتقصد بقولها : فرحك الله بما أعطاك. قول الله تعالى :

﴿.....حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً .....﴿٤٤﴾﴾ [سورة الأنعام. الآية ٤٤]

وأما عن قولها : فقد قسطت فيما فعلت. تقصد بذلك قول الله تعالى :

﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الجن: الآية ١٥]

وما قصدها بقولها :(زادك الله رفعة)

تقصد قول الشاعر :

مـــــا طـــــار طيـــــر وارتفـــــع

إلا كمـــــــا طـــــــار وقـــــــع

ثم التفت هارون الرشيد إلى هذه المرأة وقال لها: ما الذي حملك على هذا .

قالت في شجاعة لقد قتلت أهلي . وأفنيت عشيرتي .

فقال لها هارون الرشيد : ومن هم أهلك ...؟قالت : هم البرامكة.

لا يفيد الشاة سلخها بعد ذبحها

هذه هي ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق صاحبة المواقف المشهورة في التاريخ الإسلامي ، وأم أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن العوام الذي كان يطارده بني أمية لينزعوا منه الخلافة ، وتوعدوه بالقتل وبعد أن تخلى عنه رجاله ومن كانوا حوله .

دخل يعرض الأمر على أمه هذه الفقيهة الحكيمة ، وقد ضاع بصرها من شدة البكاء على ما نزل بابنها هذا التقي الورع بعد أن خذله الناس يطلب مشورتها في بعض الأمور ومنها موقفه من بني أمية وما يتوعدونه به .

ولكنها أدركت رغم كل هذه الظروف أنه يجب تشعر ابنها بالشجاعة والبسالة .

تختار لابنها ميتة الكرام الأحرار بدلاً من حياة الذل والعار ، فقالت له : [يا بني أما كنت تعلم أنك على حق ؟ وإليه تدعو فامض له ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ، فهذا ليس فعل الأحرار ، القتل أحسن من الفرار ، والله لضرب السيف في عز أحب من ضرب السوط في ذل ، ثم قال لها : إنهم يريدون قتلي وصلبي فقالت له : وهل يفيد الشاة سلخها بعد ذبحها].

ثم قال لها : [جزاك الله يا أماه خيرًا فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد]

وهنا أقبل عبد الله بن الزبير على الشهادة بكلمات أمه المؤمنة الراضية بما قدره الله لابنها .

وافدة النساء

جاءت أسماء بنت يزيد إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني وافدة النساء إليك ، والذي بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك الذي بعثك. وإنا معشر النساء محصورات مقصورات في الحضر ، وإنكم معشر الرجال فضلتم أموالكم وخوالفكم في سفركم ومرضاتكم في الحضر ، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا في الجماعات وعيادات المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج والعمرة ، وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله وإنكم تخرجون حجاجاً ومجاهدين وتجارًا مسافرين .

حفظنا لكم الأموال وربينا لكم الأولاد ، ثم غزلنا لكم الثياب وجمعنا لكم الطعام أفلا نشارككم الأجر يا رسول الله ؟

فقال لها النبي ﷺ : (هل سمعتم مقالة أحسن من مقالة هذه المرأة عن أمر دينها .ارجعي أيتها المرأة فأخبري من وراءك من النساء أن حسن التبعل تبعل إحداكن لزوجها، واجتنابها سخطه واتباعها مرضاته يعدل ذلك كله).

أهـــم المراجـــع والمصـــادر

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المعجم المفهرس — محمد فؤاد عبد الباقي

فتح الباري — بن حجر العسقلاني

المغني — ابن قدامه

نيل الأوطار — للشوكاني

العائدات إلى الله — محمد المسند

العنف ضد المرأة — أبو حسام الطرفادي

العنوسة — د/ نهى عدنان

أخطاء المرأة — ندا أبو أحمد

فتياتنا بين التغريب والعفاف — د/ ناصر العمر

عمل المرأة — د/ محمد علي الباز

التبرج وأخطاره — عبد العزيز بن باز

طه حسين في ميزان الإسلام — أنور الجندي

وجاء المجاوس — صافيناز كاظم

المرأة المسلمة — لوهبي الألباني

دليل المرأة المسلمة — لعلي الحجاج الغامدي

اعترافات متأخرة — محمد المسند

غير متزوجات وسعيدات — محمد رشيد

أوصاف النساء — إبراهيم الجمل

صحيح الإمام البخاري ومسلم

مسند أبو داود والترمذي والطبراني